

# نقص القراءة لدى الشباب المسلم : مشكلات وحلول

ورقة بحثية

مقدمة إلى

رابطة العالم الإسلامي (مؤتمر مكة المكرمة العاشر)  
مشكلات الشباب المسلم في عصر العولمة

٤ - ٥ / ٢ / ١٤٣٠ هـ

٢١ - ٢٢ نوفمبر ٢٠٠٩ م

بقلم:

د. محمد وقيع الله أحمد

باحث أكاديمي وأستاذ جامعي

مقدمة

لفت نظري كثيراً أول أيام إقامتي في الغرب مشهد الأطفال الصغار وهم يتراكمون ويتدافعون نحو المكتبات العامة والتجارية، ويلحقون الكتب باهتمام، ويلتهمونها بنهم بادٍ. وسرعان ما بدا لي ذلك المشهد عادياً وتبينت أنه جزء أصيل من مشاهد الحياة العامة هناك. ثم لاحظت بغبطة تامة التحاق أبنائي تلقائياً بتيار الاطلاع والثقافة وانخراطهم بحماسة متوقدة فيه، وحمدت الله كثيراً أنهم نشأوا أول أيامهم هناك حتى اكتسبوا تلك العادة الحميدة من القوم.

وفي مناسبات شتى ناقشت هذا الموضوع المتعلق بولع الناشئة بالاطلاع مع بعض المسلمين في بلاد الغرب مؤكداً على أن هذه إحدى كبار الإيجابيات التي يمكن أن تتألفها الأسر المسلمة التي يتاح لها أن تعيش لهنيئات طالت أو قصرت في ديار الغرب. كما ناقشت الأمر أكاديمياً مع طلاب معهد العلوم الإسلامية والعربية بواشنطن الذين تلقوا عني مادتي طرق التدريس، وعلم النفس التربوي. وقد دارت مناقشات خصبة مفيدة حول هذا الموضوع المهم. وكنت قد طلبت من تلاميذي أنها أن يقدموا آراءهم وإضافاتهم إلى ما كتبت، وقد قدموا بالفعل النقد والرأي المفيد، لاسيما وأن الكثيرين منهم كانوا آباء يُعَافِسُونَ مصاعب التربية والتعليم.

وإنني لآمل أن أقدم في ثنايا كتاب آمل نشره خلاصات مناقشات طلابي حوله وانتقاداتهم له، إذ حال دون ذلك عدم وجود تلك المادة بين يدي الآن. كما آمل أن أسمع آراء وانتقادات من يقفون على هذا البحث الوجيه بأمل الاستفادة منها في تحرير أفضل له بحيث يراعي بصورة أتم حاجات بيئتنا المحلية ومحدداتها الثقافية.

والنص بمتته الحالي يهدف إلى الإجابة بإيجاز، وعلى نحو ضمني، عن السؤال الذي انبثق من فرضينه الأساسية، وهي: أن أبنائنا لا يقرأون بحدٍ كافٍ مقبول. وأما السؤال فهو: ما هي أسباب تخلف أبنائنا بشكل ملحوظ في مجال الاطلاع والثقافة؟ وما السبيل إلى علاج ذلك وتداركه قدر الإمكان؟

آليت على نفسي أن أقرأ لأطفالي متى طلبوا مني ذلك، مهما تكن مشاغلي أو متاعبي. فلأطفالي ولأطفال الناس جميعاً، حماسة من نوع خاص للقراءة ، يبدو أنها فرع من ولعهم باكتشاف كل جديد .

أما التعلّم فهو، ولا ريب، غريزة فطرية ورثوها من قديم أبيهم آدم، عليه السلام، الذي علّم الأسماء كلها كما أنبأنا القرآن الكريم!

ويقول الخبراء إن ولع الطفل بالكتب يبدأ حالما يكمل شهره السابع ، أي أنه يبدأ بطلب العلم من المهد كما يوجهنا الحديث الشريف . وفي ذلك الحين يبدأ الطفل بالانتباه لما يُقرأ له، أما في شهره العاشر فإنه سيجيد عادة الإصغاء من دون فهم للكلمات ، ويظل كذلك إلى أن يكمل عامه الأول حيث يبدأ بالتقاط بعض الكلمات ، وهذه كلها علامات مشجعة ينبغي أن تقود خطى الآباء في هذا المضمار .

### القراءة المتدرجة:

ويضيف الخبراء أن تجاربهم قد دلت بالفعل على أن أفضل وقت لإدخال الطفل إلى عالم القراءة إنما هو نصف الساعة التي تسبق مواعيد نومه. فالقراءة تهدئ أعصاب الطفل وتسليه وترسله هويناً هويناً إلى غيبوبة النوم اللذيذ ، وهنا لا بد على الآباء والأمهات أن يعتنوا بتخير الكتيبات الطريفة الحلوة الحافلة بالصور والكلمات الإيقاعية المطربة ذات الجرس العذب.

وببلوغ الطفل ثلاثة أعوام يمكنه - حسب إفادة هؤلاء الخبراء - أن يفهم كثيراً مما يُقرأ له، ولكن لا بد من وجود الصور ترافقها القراءة المُطربة والمعبرة التي تشخص رموز القصة وتبرز حبكتها.

وما بين سني الثالثة والسادسة يمكن أن يقرأ المرء لطفله أكثر من أربعين كتاباً من هذا النوع في العام . وما بين سني السادسة والتاسعة يمكن أن يقرأ للطفل ما يزيد على الأربعين كتاباً ، ولكن من مستوى أعلى قليلاً.

أما ما بين سني التاسعة والعاشر فيمكن أن يُقرأ للطفل عشرون كتاباً في العام، ولكن من كتب تركز على الوصف أكثر مما تركز على التصوير . وهنا يلاحظ أن الطفل يمكن أن يقرأ لنفسه منفرداً .

### القراءة متعةً وتسليّةً:

وفي غضون كل ذلك لا بد من التركيز على جانب المتعة والتسلية، والحرص على التماشي مع ميول الطفل وهواياته الأثيرة. فمثلاً إذا كان الطفل ذا تعلق خاص بالحيوانات ، فمن الأفضل أن تقرأ له قصص أبطالها وشخصها من الحيوانات. وإن كان من عشاق السير والتاريخ فلتحضر له كتب السير والبطولة ، وإن كان محباً للغرائب والألغاز ، فليزود بكتب من ذلك الطراز ، وإن كان ممن تستهويهم حقائق العلوم ومشاهد الطبيعة ، فكتب الخيال العلمي (الميسرة ) هي التي تلبي ذلك حاجة ذلك التوق والنزوع.

وإن كان من هواة الرياضة، فإن كتب الرياضة تكون أقرب إلى قلبه، وإن كان من محبي القصص المسلسلة التي يكون بطلها شخص واحد، فهذا من أجمل الخيارات بالنسبة له، إذ ربما يدفعه ذلك إلى أن يقرأ منفرداً، فبعد قراءة كتاب أو كتابين له ، فقد يشجعه ذلك لإكمال السلسلة منفرداً.

وفي كل الأحوال فينبغي ألا نخشى من أن يدمن الطفل ذلك النوع بعينه من القراءة، فهي قراءة مرحلة سيتخلص منها لا محالة عندما يتقدم به العمر.

إن المطلوب هنا هو غرس حب الاطلاع في قلب الطفل، أكثر من الاتجاه به إلى تحصيل معلومات جافة نحشوها في عقله. وقد ظل عالم مرموق في هذا المجال هو البروفسور موريس فريدمان يبشر بهذا الرأي لمدى خمس عقود تعاطى فيها التدريس بجامعة ميرلاند، ونيويورك، ونيو ميكسيكو، وقد وصى طلابه الدارسين في كليات التربية، بأن يجاروا رغبات الأطفال، وأن يتجنبوا الإلزام والفرص ، قائلاً إن أسلوب القسر والإلزام لا يأتي بنتيجة جيدة، وقد استند البروفيسور فريدمان بالإضافة إلى خبراته الأكاديمية إلى تجربة شخصية له مع طفله الذي لم ينهمك في عالم القراءة إلا بعد أن زوّده بمواد مسلية نالت

إعجابه في النهاية، ودفعت به إلى دنيا الاطلاع التي أدمن التشرف إليها والانغماس في أعماقها.

ولتجنب إعراض الطفل وتقاذي مقاومته للقراءة، فالأفضل إقناعه بأن كتب الاطلاع العام هي أحلى وأبهى وأبهج من كتب المقررات الدراسية الجافة التي قصد بها التعليم لا الاستمتاع، فكثير من الطلاب حتى في سنوات الدراسة الجامعية يعتقدون أن كل الكتب مملة مثل الكتب الدراسية المقررة تماماً !

ويحبذ إلا يُلزم الطفل بأن يقرأ أو يسمع أكثر مما يريد، وألا يُجبر على إكمال الكتاب كله في جلسة طويلة واحدة، و عوضاً عن ذلك يمكن ترك الكتاب مفتوحاً على المنضدة أو الرف أو السرير، وسيلحظ الأب أو الأم أن الطفل سيحضر لاحقاً لطب المزيد من القراءة.

وأما عادة طلب ملخص مكتوب عن الكتاب الذي يقرؤه الطفل، والتي يظن البعض أن فيها تدريباً طيباً على إجادة الكتابة، فهي من أسوأ ما يمكن أن ينفر الطفل عن دنيا الاطلاع ويبغضها إليه، إذ أنها تربط متعة الاطلاع، بعمل إلزامي يشبه الأعمال الرسمية، مما يصيب الطفل بالقلق وتوتر الأعصاب، وينغص عليه متعة القراءة الصافية.

وعوضاً عن هذه العادة المنفرة يمكن أن يسأل الطفل بشكل عفوي ودّي خالص لكي يعطي رأيه في الكتاب، ويعرب عما أعجبه فيه. وهنا سينطلق الطفل بمرح وجبور ليقص لوالديه أو لمعلميه ما أعجبه في حنايا الكتاب.

### بيئة القراءة:

ويلاحظ الخبراء أن إدماج الطفل في عالم القراءة يتطلب أن يجد الطفل نفسه منذ البدء في بيئة قارئة، أي في أسرة لها صلة بدنيا الثقافة والاطلاع.

وقد دلت التجارب أن دور البيت في جذب الطفل إلى الاطلاع أكبر بكثير من دور المدرسة. فالمدارس، قلما تعتني بثقافة الطفل العامة، ولكن بعض المعلمين الموهوبين يعطون عناية خاصة لتلك الناحية. وهنا دلّت الإحصاءات على أن المدارس التي بها معلمون من ذلك النوع الممتاز، تكون نسبة استعارة الأطفال من مكتباتها أعلى بكثير من غيرها .

ولكن المدارس بوجه عام لا تشجع على الاطلاع، إذ أنها ملزمة بتنفيذ برامج دراسية كثيفة، في خلال فترة زمنية محددة، كما أنه يتعذر على المعلمين أن يشرفوا مباشرة على عشرات الأطفال، ويراعوا ميولهم وأذواقهم المتباينة في شأن الاطلاع، ويسدوا إليهم التوجيه السديد .

وهكذا فلا بد من تدخل الأسرة في هذا الأمر ، وقد دلت الدراسات والتجارب العديدة على أن دور الوالدين هو الدور الحاسم في هذا المجال.

ومن أمثلة ذلك الاستطلاع الذي أجرته الرابطة القومية الأمريكية لمجلس الآباء، حيث اتضح أن ٨٢% من الأطفال الذين لا يحبون القراءة، لم يُحظوا بتشجيع آبائهم في البيت. كما اتضح من إفادات ٧٥% من الآباء أن التلفاز وألعاب الفيديو عاملان يعطلان من مجهوداتهم في سبيل جذب الطفل إلى حب القراءة .

وهذان عاملان خطيران، لا بد من معالجة أولهما، ومكافحة آثار الثاني. وعلاج الأول صعب، إذ أنه يتطلب علاج عادات الآباء من الأساس، ولكن يمكن التعويض من أثره السلبي نوعاً ما، ولو بمجرد شراء الكتب للطفل. وأما بخصوص التلفاز وألعاب الفيديو فلا بد من وقفة حازمة لاختصار التهامهما لوقت الطفل.

ولشعور بعض المدارس بأهمية عامل الوالدين الحاسم في توجيه الأبناء إلى عالم الاطلاع، فقد أصبحت تعطي دورات دراسية خاصة للآباء في كل صيف، تبصرهم بأساليب وفنيات تشجيع الشباب للانخراط في عالم الاطلاع، مثل المسابقات التي تعقد لاختيار أكثر الطلاب قراءة للكتب والمجلات الثقافية، والدعوة إلى الاشتراك في أندية الكتاب، والتحفيز لارتياح المكتبات ونحو ذلك .

### فوائد الاطلاع :

وفوائد الاطلاع هي آلية أخرى يمكن أن تلعب دوراً في دفع الآباء لتشجيع الشباب على الاطلاع. ومن المؤسف فإن كثيراً من الآباء يتخوفون من أن يتغول وقت الاطلاع العام على وقت (المذاكرة) المدرسية، وهذا خطأ كبير، فقد أكدت التجارب أن الأطفال من مدمني الاطلاع العام يكون أدائهم الأكاديمي أفضل بكثير من غيرهم، ليس في مواد الأدب

واللغات وحسب، وإنما حتى في الرياضيات واللوم، كما أن لديهم ميل أكبر إلى إكمال تليمهم النظامي إلى أقصى درجة ممكنة، والسبب في ذلك أن الاطلاع المكثف ينمي عقلية الطفل باستمرار، ويدربه على التفكير والتحليل والمقارنة، ويوسع آفاق مداركه، ويزيد من حصيلته اللغوية، فلا يجد من ثم عنثاً أو حرجاً في التلبير عن ملوماته في الامتحانات التحريرية أو الشفوية سواء.

وفوائد الاطلاع المتعددة التي تلود على الشاب تبدو سيماها عليه منذ طفولته الباكرة، حيث يؤكد الأطباء أن قراءة الآباء للطفل تساعد على تنمية وتركيز حسن الانتباه واليقظة لديه، وهذا ما يقود الطفل إلى إحسان فن الملاحظة والتمرس بمهام الفحص والتحليل، والنظر إلى المشكلات التي تواجهه في حياته نظراً علمياً متأنياً بلايداً عن الطيش والتلجل في اتخاذ قرارات التصرف والسلوك.

والاطلاع في حد ذاته عملية تهذيب للشباب تتأى به عن السفاسف، وتللي مقامه في الحياة، وتزوده بمادة أدبية جيدة يتحدث بها مع رصفائه فيتمتع باحترامهم وتقديرهم، كما تلوده على تحمل المسؤولية، والمحافظة على الوقت، والنظر إلى الحياة بنحو جدي وأفق أريحي رحيب.

وقد أسلفنا القول أن الاطلاع يجود لغة الطفل ويصقلها بشكل دائم. ونضيف إلى ذلك رأي بلض خبراء الكتابة القائلين بأن كثيراً من الأطفال تتوقف مهاراتهم في الكتابة عند سن اللإشرة، وأن إدماج هؤلاء في عالم الاطلاع هو اللامل الأكيد الذي يمنع ذبول لغتهم وجمودها، ويسلفهم بمزيد من الأخيلة التي تساعد على ابتداع التراكيب اللغوية.

ويسود رأي في المجتمع الغربي بأن الاطلاع الثقافي عامل هام في تكوين مستقبل الشباب، ففي استطلاع عام للرأي أجري وسط آباء أطفال المدارس في الولايات المتحدة الأمريكية أجاب ٩٣% منهم بأن حب الاطلاع عامل أساسي في تشكيل مستقبل أبنائهم، ولكن اختلف هؤلاء الآباء بشكل مثير حول الفوائد التي يجنيها أبنائهم من الاطلاع، فأجاب ٤٩% منهم بأن الاطلاع مهم لتكوين المواطن الصالح المتسم بالملرفة والثقافة، بينما أجاب ٤٤% بأن الاطلاع مهم من أجل نيل وظائف ذات دخل عالٍ، وأجاب ٦% بأن الاطلاع مهم من أجل ترجية أوقات الفراغ وحسب !

وهذا أمر طبيعي في ظل حضارة انشطارية متعلقة بحدود الأرض. أما المسلم فهو أولى برعاية العلم من كل هؤلاء. فمن طلب الدنيا طلبها بالعلم، ومن طلب الآخرة طلبها بالعلم، ومن طلبهما معاً طلبهما بالعلم. وإذا أرادت أمتنا المسلمة أن تؤمن لنفسها المكان الحضاري اللائق في هذا العصر فلا أقل من أن نتبنى الحلول العملية المعقولة لإخراج شبابنا المسلم في عصر العولمة من جحيم الرتابة التي يذوب فيها نكأؤهم، ونقلهم إلى عوالم الاطلاع والمتعة العقلية، التي يتحقق فيها نموهم الحضاري السليم .

إنّ تخلف أمتنا في عالم الاطلاع وعدم اكتراثها بمستجدات المعرفة، هو ولا شك فرع لمبدأ تخلفها الحضاري العام. ولكننا نريد هنا أن نكون أكثر تحديداً للداء بما يمكننا من الإمساك بنقطة بدء مناسبة لعلاج الموضوع. من أجل ذلك فلنأت إلى فرضية أضيق نطاقاً نقول بأن مسؤولية تحبيب القراءة إلى النشء هو مسؤولية الآباء. ولنقف الآن على معالم منهجين كبيرين من مناهج تعليم القراءة، يمكن أن يهتدي بأقومهما الآباء الكرام .

### منهجان لتعليم القراءة:

إن تحكم المنهج الذي تلقى عليه الإنسان تعليم القراءة في سنيه الأولى ربما تحكّم في سلوكه العلمي والثقافي فيما بعد، وبالذات في مجال حب الإنسان للقراءة أو مقته إياها، وقلاه لها. والمنهجان الأساسيان في سماء التعليم الأكاديمي اليوم هما: المنهج الكلاسيكي، والمنهج الحديث. ولنتناول كلاّ منهما بإيضاح عابر:

أولاً: المنهج الكلاسيكي:

وهو المنهج السائد الآن في المدارس في العالم الإسلامي، وهو المعروف باسم المنهج الصوتي Phonics أي منهج تعلم أصوات الحروف، قبل تعلم نطق الكلمات وقراءة الجمل، وهنا يتركز الاهتمام على تعلم الطفل كيفية النطق الصحيح الفصيح، مع تهميش الاهتمامات المقاصدية النفسية المرتبطة بمهمة تنمية الميل إلى الاطلاع، فينشأ الطفل على أن القراءة ليست سوى مهمة ميكانيكية، أهم ما فيها هو تعلم القراءة الصحيحة، بغض النظر عن قيمة الأفكار، أو متعة الاطلاع.

ثانياً: المنهج الحديث:

وهو المنهج الذي يهتم بتعليم اللغة باعتبارها كلاً متكاملًا. يبدأ بتعليم الأطفال كيف يمكن أن يقرأوا القصص بأنفسهم من سن الخامسة أو أقل ، على أمل أن يتعلموا نطق الحروف والكلمات بشكل أجود في خلال ذلك، ويركز هذا المنهج على جذب الطفل إلى عالم الاطلاع عن طريق الموضوعات الطريفة المفضلة والقريبة إلى قلبه مثل قصص الأطفال، والرحلات، والغرائب، والحكمة الشعبية، وذلك لضمان أن يتعلق الطفل أولاً بالقراءة، عن طريق التشويق مع إرجاء عملية التدريب على النطق، والنحو، والإعراب، والتراكيب والنكت البلاغية، لتتم أولاً الملكة الصحيحة والتدريب الجيد في مسألة الاطلاع، ثم يواصل النشء جهوده ويشق طريقه، ورويداً يستطيع أن يستوعب قضايا فقه اللغة.

ويعتقد أنصار هذا المنهج أن تعميق اتصال الطفل بالقراءة الحرة هو أفضل تدريب للطفل على النطق الصحيح، وذلك بأكثر مما يهيؤه له المنهج الصوتي القديم. كما أنه يؤدي إلى توسيع حصيلة الطفل اللغوية، ويهديه إلى استخدام سليقته لفهم معاني الكلمات، بدلاً من تعليمه معانيها كلمة بكلمة، بالطريقة الكلاسيكية.

ومن نتائج استخدام هذا المنهج أن يستفيد النشء من أساليب الكُتَّاب، فنتحسن قدراتهم الكتابية التعبيرية تدريجياً. وهنا يجب أن يترك الناشيء ليعبر عن نفسه بثقة واقتدار، وبالطريقة التي يحبها، بدلاً من الإصرار على توقيفه عند كل عثرة، لتصحيح نطقه أو أسلوبه، فالأفضل أن نتركه مندفعاً في تدفقه الفكري واللغوي، بدلاً من أن نجعل أفقه الفكري ضيقاً، وحصيلته اللغوية ضعيفة، مكتفين بجعل قدراته عالية في الإملاء، والنحو، ونطقه صحيحاً للكلمات.

### لماذا يظل الكتاب أداة التثقيف الأولى؟

وإذا بذلنا كل الجهد السالف لربط الناشئة بالكتاب، فلنقف هنيهة لنبدد شبهة شائعة تقول بأن الكتاب لم يعد مصدر المعرفة الأصيل، أو مصدرها الأكبر، وذلك بعد أن انتشرت وسائل أخرى للتثقيف مثل الصحف، والمجلات، وبرامج الإذاعة، والتلفاز، والأشرطة التسجيلية والمدمجة، ومواد شبكة الاتصالات العالمية.

هذه الوسائل هي وسائل إرشاد وتتنوير عام قاصر، أو هي وسائل تثقيفية على أبعد تقدير، وتقدم في الغالب معلومات مبتسرة، وموضوعات مقتضبة، ينقصها المنهج، ويعوزها عمق التحليل. وذلك لأن حيز النشر، أو المدى الزمني المتاح للبحث في سائر تلك الوسائل، إنما هو مدى محدود، لا يمكن من تعميق البحث والتناول، ومن ثم فإن هذه الوسائل لا تعطي المتلقي الأبعاد الحقيقية للقضايا المتناولة، كما لا تعطيه التدريب الثقافي والفكري المطلوب لإنشاء الشخصية العلمية المستقلة.

فالكتاب المنهجي الذي اصطبر مؤلفه على كتابته زماناً طويلاً، وانضج مسائله على نار هادئة، هو الأخرى بأن يعطي القارئ المعلومات المقنعة، ويعودّه على الصبر على القراءة، ويغرس فيه ملكة التحليل، والتعليل، والاستنتاج. ويكسبه حسّ القانون والقاعدة، ويمنحه القدرة على التعميم، والاستثناء، والتخصيص، كل ذلك في عمق ومرونة وبصيرة نفاذة. وبالطبع فليس كل كتاب ينتهي بقائه إلى نتائج صحيحة لا ريب فيها، ولا كل كتاب يسير على خط منهجي سليم قاصد. فما أكثر الكتب العثة، المحشوة بالمقدمات الفاسدة، والنتائج المغشوشة، وتلك مسألة أخرى سنتعرض لها من خلال حديث قادم عن القراءة النقدية .

ولكن مع ذلك يمكن القول إن الكتاب لا يزال هو المصدر الأصيل الأوفى الذي يزود القارئ بالتفاصيل. صحيح إن المرء لا يستطيع أن يتذكر كل المعلومات التفصيلية التي يمر بها في كتاب، ولكن تظل لتلك التفاصيل أهميتها الفائقة، لأنه من خلال تلك التفاصيل تتبلور الأفكار، ولذلك فلا بد من المرور عليها في كل حال، فالفكرة التي يلتقطها المرء مجردة من محيطها التي تطورت فيه، تؤخذ فاترة أو شبه مشلولة، تعوزها الديناميكية والحياة، ولذلك فإن الذين يكتفون - مثلاً - بقراءة الكتب التي تركز على التصور الإسلامي العام للحياة، دون الغوص في كتب التفسير، والحديث، وأصول التشريع، والفقه، والسيرة، والتاريخ لا يمكن أن يُعتد بثقافتهم، لأنها ستبدو شاحبة، تعنى بالمثاليات العامة، وتعوزها المرونة والأصالة التي لا يمكن أن تكتسب إلا بالمشاهدة على الغوص في تفاصيل ومفردات الثقافة الإسلامية .

وهذا مجرد مثال من محيط الثقافة الإسلامية، وإلا فإن هذه القاعدة عينها تنطبق على من يُلمون ببعض إفرزات الفكر الغربي، وهم لم يخوضوا تجربة معرفية ذاتية في إطاره العام،

ولا درسوه دراسة مدققة عن كثب، وإنما تلقوه شذرات وشعارات عن طريق التلقين أو التقليد، ولم تتجاوز معرفتهم به حدود أركانه ومقولاته الكلية، ولا يعدو إيمانهم به من ثم، أن يكون إيماناً ( دوغمائياً ) بعيداً عن الاتصاف بصفات الأريحية الفكرية والاقتدار على الحوار الحر.

### القراءة الجيدة والقراءة السيئة:

وهكذا فالقراءة الجيدة لا بد لها من الجدية الكافية حتى تؤتي ثمارها. وهذا لا يتعارض مع القول بأن القراءة فن وهواية. وعلى مستوى هذا القول الأخير فلا بد من التأكيد على أن كل فن وهواية يحتاج إلى التدريب المتصل الطويل. وأن المرء لا يصل إلى مستوى التحصيل الثقافي الجيد، إلا عقب فترة طويلة من التمرين على استحصاد المعلومات والأفكار الأساسية مما يقرأ.

ونرجو قبل أن نُعطي بعض التفاصيل حول أنواع القراءة الجيدة، أن نتناول بالمقارنة بشكل عام، عادات القراءة الجيدة، والسيئة.

في حالة القراءة الجيدة يتعود القارئ على تصويب جهوده نحو استخلاص الأفكار التي يرمي الكاتب إلى إبرازها، كما يقوم فوراً بربط تلك الأفكار بعضها ببعض، فتكون قراءته متوجهة أساساً لتقاء الأفكار، لا لتقاء الكلمات والجمل، أو ما تحمله كل جملة من فكرة منفصلة، فتلك هي إحدى سمات القراءة الرديئة التي يُضطر صاحبها إلى قراءة القطعة مرة ثانية، ليتمكن من ربط أفكارها بعضها ببعض، فينفق ضعف الوقت المطلوب.

وفي القراءة الجيدة يحتفظ القارئ لنفسه بسرعات قراءة متفاوتة، تبعاً لغرضه من القراءة، فإن كان يقرأ قصة للمتعة الأدبية، فإنه يقرأ بسرعة شديدة جداً، وإن كان يقرأ مقالات صحفية، بغرض الاطلاع على الأخبار فإنه يقرأ بسرعة أقل، أما إن قرأ كتاباً في الفلسفة، أو الفقه أو العلوم الاجتماعية أو الطبيعية، فإن سرعة القراءة ستخف أكثر وأكثر.

وهذا عكس ما عليه الشأن عند صاحب القراءة السيئة، فإنه يقرأ بسرعة واحدة، يطلع بها على الروايات، كما يطلع بها على الكتب الجادة سواءً بسواء، فإنه وإن كان يحقق المتعة الأدبية من قراءته الروايات، إلا أنه لا ينال الفائدة من قراءة الكتب الجادة بذلك المنوال.

وفي القراءة الجيدة يكثر القارئ من التساؤل الضمني : هل ما يقرأ ينم عن فكر أصيل محيط مبتكر ومتسق، أم أنه مجرد عرض وتبني لوجهة نظر بعينها مع تجاهل وجهات نظر أعمق منها وأدق.

أما صاحب القراءة السيئة فهو خاطف النظر والفكر، يصدق أو يستأنس بكل حرف مطبوع يقرأه، ولا يتساءل، ولا يفحص، ولا يدقق، ولا يقارن ما يقرأ مع ما قد قرأ سلفاً. وفي القراءة الجيدة تتنوع مصادر الثقافة من كتب ومجلات وصحف، ويتمرس القارئ على الخوض في حقول معرفية متنوعة، في الرواية، والشعر، والنقد الأدبي، والتاريخ، والعلوم، والاقتصاد، وغير ذلك.

وهذا لا يتناقض بالطبع مع توجه المرء بطبعه أو بتخصصه نحو حقل بعينه من حقول المعرفة. أما في القراءة السيئة، فإن القارئ يقتصر على الاطلاع على أفق معرفي واحد، أو قد يتجه بتركيز إلى آفاق التسلية، التي تشمل قراءة الألغاز، والقصص، والصفحات الرياضية، والفنية، فتكون ثقافته محدودة المدى وقريبة الغور. وهكذا فمن الضروري أن يتتبعه الآباء والمعلمون إلى هذه الفروق الأساسية في أنواع القراءة، وأن يتبينوا خصائص كل من القراءة الجيدة والسيئة، حتى يهدوا الشباب المسلم إلى نوع القراءة التي تفيد.

### القراءة النقدية:

إن القراءة النقدية هي إحدى أهم صفات القراءة الجادة، وعوامل تكوين الشخصية العلمية المستقلة، وهي قراءة التفاعل الحر مع الآراء التي يحفل بها الكتاب. وهنا يقوم القارئ بإخضاع تلك الآراء للفحص والاختبار، وصولاً إلى اتخاذ رأي خاص بشأنها من حيث الاستحسان، أو الإجازة، أو الرفض.

وهذه مرحلة لا تتأتى للإنسان إلا عبر تجربة طويلة من التحصيل الفردي، الذي يمكنه من أن يكون خلفية فكرية خاصة، وميزاناً عقلياً يزن به مختلف الآراء التي تمر به في غمار الكتب.

والقارئ الناقد لا يكون محايداً يتلقى كل فكر ويضمه إلى محصوله الفكري، وإنما يكون مزوداً بقيمه الفكرية المعيارية الخاصة. وهذا لا يعني بالطبع أن يكون القارئ عاطفياً أو

متحيزاً أو عدائياً، وإنما يكون منصفاً متمسكاً بميزة العقل الراجح المرن المتفتح عن وعي وثقة على آراء الآخرين، يُنخل لبابه وصوابه.

وإذا كانت القراءة النقدية هي سبيل المرء إلى إنضاج شخصيته العلمية، وعجم عودها، فإن القراءة غير النقدية غالباً ما تؤدي - بالمقابل - إلى سقوط صاحبها في أحابيل التبعية الفكرية، كما قد تنتهي به إلى أن يتبنى آراء متناقضة، وهذا شأن كثير من العقول المرتبكة، التي أفرزها طغيان الغزو الفكري الغربي على عالمنا الإسلامي، وهذا ما نحتاج إلى أن ننجي منه الشباب المسلم.

### القراءة الشفافة:

وهذا النوع من القراءة قلما يتوفر للمرء إلا إذا مرن على قراءة الأدب العالي، وراض نفسه على التزام المنطق العقلي الراقي، بحيث تتوفر له في النهاية حاسة قراءة ما بين السطور. وهنا يؤدي القارئ وظيفتين عقليتين في وقت واحد، هما وظيفة التفكير اللماح، ووظيفة الاستنتاج والاستخلاص، حيث يهتم القارئ بالوصول إلى معرفة ما يرمي إليه المؤلف بالضبط من هذه العبارة أو تلك، حتى وإن لم يصرح بما يريد. لأن كثيراً من الكُتاب لا يفصحون عن آرائهم علانية، ويكتفون بالتلويح والتلميح، وأحياناً يهملون المعنى عن غير قصد، أو بسبب من عدم القدرة على الإبانة. فيتعين على القارئ عندئذ أن يستخلصه مستخدماً فراسته الذاتية. ولعل أجمل تعليق على موضوع قراءة ما بين السطور هو ما صرح به الشاعر الألماني الشهير (جوته) صاحب رواية (آلام فارتير) عندما اطلع على ترجمتها للفرنسية، فقال إن المترجم كان حصيماً ولماحاً إلى حد أنه انتبه إلى بعض الآراء التي عجزت أن أعبر عنها، بشكل واضح فبلورها وترجمها إلى القارئ بأوضح بيان، وهكذا فالقارئ اللماح، يستطيع أن يفهم مما يقرأ أكثر مما يحتمله النص، وسياق القول هو الذي يهدي ذا الحصافة والذوق إلى ذلك النوع من الفهم، وهذا باب من الفهم اللطيف يحسن أن يتدرب الشباب على إمكاناته منذ الصغر .

القراءة الكلية والمنهجية:

وهذه أيضاً مرحلة لا يصلها المرء إلا مع الكدح الدؤوب في عالم الاطلاع. وفي هذه المرحلة يستطيع القارئ الفطن بمجرد أن يتصفح الكتاب لمدة قليلة أن يلم بفكرته العامة الكلية. ولذلك فإنه يستطيع أن يقرأ تفاصيل الكتاب في إطار ذلك الكل المتكامل، كما يقرأ مبادئ الكتاب الكلية المتكاملة من خلال قراءته لتفاصيله ومحتوياته الجزئية الفرعية.

ولكن قراءته للتفاصيل لا تتطلب أن يمرَّ عليها فرادى، ولا أن يتوقف عندها كثيراً، لأنه يكون مع الزمن قد تعود على مثل تلك التفاصيل الكثيرة التي تحتشد بها الكتب، لدواعي التأليف، ولاضطرار المؤلفين لشرح الفكرة لأفهام شتى، لضمان إيصالها لجميع العقول. وبحسب القارئ اللماح أن يدرك قيمة التفاصيل التي يمر بها، فلا يعطيها أكثر مما تستحق من الاهتمام، ولا يتعلق بها كثيراً، إذ ليس لها كبير مغزى، ويكتفي في عجلة وذكاء مرهف بنسبة قيمة هذه التفاصيل إلى قيمة أصولها الكلية الكبرى، وأن يجري تلك الحسابات العقلية بسرعة خاطفة، وهو يقلب صفحات الكتاب.

وهذا النوع من القراءة لا يمهر فيه إلا القراء المجدون المثابرون المجتهدون في دنيا الاطلاع، فإن أحدهم لا يحتاج إلى أكثر من ساعات معدودات ليفرغ من قراءة جواهر أفكار الكتاب، واستحصاها، واستخلاص لبابها من قشورها. ولكن هذه الغاية القصية الصعبة ينبغي أن تكون مرام كل مطلع أو متدرب في مجال الاطلاع.

وأما القراءة المنهجية فلا يقصد بها قراءة الكتب الملتزمة بالمنهج العلمي الصارم، وإنما القراءة التي تؤدي بالمرء إلى استدعاء أفكاره ومعلوماته السابقة المتصلة بالموضوع، وتحفزه إلى تنمية أفكاره الأصلية القديمة وبلورتها في شكل جديد، على ضوء ما يقرؤه في هذا الكتاب أو ذاك.

وهذا النوع من القراءة المُضنية، لا يتوفر عليها إلا أولو العزم من المطلعين والمتقنين الواعدين. ومن خلال هذا النوع من القراءة، يقارن القارئ بين أفكاره، ويعدّل ما يحتاج منها إلى تعديل، ويلائم بينها وبين مجموع أفكاره ومشاهداته، ليركب منها نسقاً فكرياً جديداً.

والوصول إلى هذا المرمى مما يتطلب جهداً ضخماً ووقتاً متطاولاً ، إلا أنه ينبغي أن يكون نصب عين القارئ الحصيف في كل حين .

فهذه هي القراءة المنهجية والمُجدية في أن، ويحسن هنا أن يتعود القارئ منذ صغره على تدوين ما يقرأ على ذهنه من أفكار وهو يقرأ. فالقراءة من شأنها أن تنشط أفكار القارئ وتدفع بها إلى مسارات جديدة، وما لم تقيد تلك الأفكار، فإنها سرعان ما تتبدد في عالم النسيان. وما أكثر ما يعود المرء لقراءة أفكاره التي سبق له أن دونها، فيعجب أن تكون قد مرت على خاطره من قبل، ولو لم تكن بخط يده، لما صدق أنها طرأت على ذهنه في يوم من الأيام!

### القراءة العملية:

وهي القراءة التي تربط ما بين النص والواقع، وذلك عندها يضع القارئ عيناً على النص النظري الذي يقرأه، وعيناً أخرى على الواقع العملي الذي يعيشه ويراه. فالتحصيل النظري التجريدي الصرف حتى لو كان عميقاً وغزيراً فإنه لا يجدي أو يثمر ما لم يستخدم في موازاة الواقع العملي المعاش، من أجل تفسيره، وعلاجه، وإصلاحه، وتطويره. ومثلما يشجع المعلمون الأذكياء الأكفاء طلابهم على استخدام القواعد العلمية التي حصلوها في الرياضيات، والفيزياء، والنحو، والنقد الأدبي، لحل مشاكل ومسائل تلك العلوم والفنون، فإن القراءة الثقافية التطبيقية هي تلك التي يعتني صاحبها بتكريسها لتشخيص وحل مشاكل الواقع الحياتي لشخصه ومجتمعه.

وتلكم هي سنة رسول الله ﷺ، عندما كان يعلم صحابته عشر آيات من القرآن، لا يزيدون عليها، قبل أن يتعلموها جيداً، ويدركوا معانيها العميقة، ومراميتها البعيدة والقريبة، ويطبقوها في حياتهم ثم يأتوا للمزيد.

وبالتأكيد فإن تشخيص المشكلات وحلها، وتطبيق النظريات عليها ليس بالأمر السهل. ولا يركز على مجرد اكتساب المهارات الفكرية، وتحصيل الشهادات العلمية الأكاديمية، وإنما على إعمال الجهد العقلي بعمق وحصافة حيال المشكلة موضوع البحث.

وفي هذا المدى يتم أولاً تحديد أبعاد تلك المشكلة بدقة متناهية، يلي ذلك جمع المعلومات الكافية فيما يتعلق بالمشكلة، ثم تصنيف تلك المعلومات حسب أهميتها، وذلك من أجل إفرار فروض بعينها، حتى ينحصر عمل الباحث في مدى تلك الفروض، بأمل أن يصلح واحد منها أو أكثر ليكون حلاً للمشكلة.

وباختبار تلك الفروض بدقة متناهية يكون الباحث قد أنهى عمله نحو المشكلة التي أرقته وأهمته. وهكذا تكون القراءة هنا قراءة بحثية، أو بحثاً عن حل عملي لموضوع هام.

### القراءة السريعة:

إن القراءة السريعة هي أحد الفنون المستحدثة في مجال التعليم، وتقوم على تدريسه آلاف المدارس والجامعات الغربية في هذه الأيام، وذلك لقاء مبلغ زهيد لا يجاوز ٣٠٠ دولار، ترد إلى الطالب في نهاية البرنامج، إذا لم تتضاعف سرعته بمعدل ثلاثة أضعاف على أقل تقدير.

والافتراض الذي تقوم عليه تلك البرامج هو أن أي قارئ - حتى ولو كان مدمناً على الاطلاع - يستطيع أن يزيد من سرعته في القراءة عندما يتخلص من بعض العادات السيئة. وأما المحاور الأساسية لتلك البرامج فإنها تنحصر في تخليص القارئ من عادة تحريك الشفاه وربما اللسان أثناء القراءة، وتدريبه على تجاوز الشروح والتفاصيل والعبارات اللغوية الزائدة، وتهيئته على شن الهجوم المباشر على معائل الأفكار الجوهرية المحشورة خلال التفاصيل. وهناك قضايا فنية يتلقاها المرء أثناء التدريب، وتساعد كثيراً من يطمح إلى إمكانية قراءة كتابين أو ثلاثة كتب في كل يوم، وبذلك يتمكن المرء من توفير كثير من الوقت، ويعفي نفسه من التعلق بركام الجزئيات غير المفيدة، لأنه يتعلم أخيراً كيف يأخذ زبدة الأفكار ويتجنب زبدها الطافي.

خاتمة:

لقد آثرنا أن نجيب بنحو ضمني على السؤال الرئيسي الذي جعلنا منه محوراً لهذا البحث، وهو: لماذا لا يقرأ أبناؤنا؟ فأبرزنا في الصفحات السالفة بعض الحقائق الأساسية المجهولة، أو تلك التي يتجاهلها ويتغافلها عادة الآباء والمربون والمعلمون، استخفافاً بقدرها، وبدورها في تحبيب القراءة إلى قلوب الأطفال والشباب، والتي عن طريقها يمكن إدخال الناشئة في عوالم الاطلاع البهية الساحرة الأسرة.

وأهم الحقائق التي يمكن أن نذكرها في هذا المجال ضرورة أن نبدأ بتدريب أطفالنا على الاطلاع في أطوار حياتهم الأولى، فنقرأ لهم القصص الشائقة والمواد المحببة وهم بعد في المهد، ثم نحثهم على ارتياد المكتبات العامة طالما درجوا على أقدامهم، ونزودهم - عن طريق الإهداء التشجيعي - بالكتب التي يحبون الاطلاع عليها، ونوفر لهم البيئة القارئة بالبيت، فنحضهم بالقدوة الطيبة الماثلة على الاطلاع وعلى مناقشة ما يطلعون عليه في مناخ مشبع بالحرية والأريحية.

ويجب في هذا المدى أن نهتم بأسلوب ملطف بمكافحة سلطان البرامج التلفازية وألعاب الفيديو على عقول الأطفال ومخيلاتهم القاصرة، فلا نعرضهم إلى تلك البرامج والألعاب إلا إلى الحد المعقول المأمون، إذ أن التماذي في الاستمتاع بتلك البرامج والألعاب قد يجور كثيراً على وقت القراءة، ويصرف الناشئة عن هواها بالتدريج.

وإذا حافظنا على علاقة الطفل بعالم القراءة، فلنحرص على تطوير تلك العلاقة باستمرار، وذلك باتباع أصول المنهج الحديث في تعليم اللغة، واقتفاء الأساليب الجيدة في الاطلاع، وأهمها أساليب القراءة النقدية، والقراءة الشفافة، والقراءة الكلية والمنهجية، والقراءة العملية، والقراءة السريعة، وقد ألممنا بأطراف من ذلك في ثنايا هذا البحث.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مراجع مختارة:

1. E. H. Glendinning, and A. S. Holmstrom, Study reading: A course in reading skills for academic purposes. Cambridge: Cambridge University Press,1992.
2. E. S. Hari-Augstein, M. Smith, and, L. F. Thomas,. Reading to learn. London: Methuen, 1982.
3. G. J. Fairbairn, and C. Winch, Reading, writing and reasoning: A guide for students Buckingham: Open University Press, 1996.
4. G. Gawith, Power learning: A student's guide to success. Melbourne: Longman Cheshire, 1991.
5. G. S. Pinnell, Reading Recovery: Helping at-risk children learn to read. The Elementary School Journal, 1989, 90- 2.
6. G. S. Pinnell, D. E. DeFord, and C. A. Lyons, Reading Recovery: Early intervention for at-risk first graders. Arlington, VA: Educational Research Service, 1988 J. Cheek, Finding out: Information literacy for the 21st century. South Melbourne: Macmillan Education Australia, 1995.
7. I. Hay, D. Bochner, and C. Dungey, Making the grade: A guide to successful communication and study. Melbourne: Oxford University Press, 1997.
8. L. A. Marshall, and F. Rowland, A guide to learning independently, Melbourne, Addison Wesley Longman,1998.

9. M. M. Clay, The early detection of reading difficulties, Auckland, NZ: Heinemann 1985.
10. M. N. Browne, and S. M. Keeley, Asking the right questions: A guide to critical thinking. (2nd ed.). Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1986.
11. N. Burdess, Handbook of student skills. Sydney, Prentice Hall, 1998.
12. P. Edwards, 7 keys to successful study, Melbourne: Australian Council for Educational Research, 1996.
13. R. Clerehan, Study skills handbook: For tertiary students. Caulfield East, Vic.: Language and Learning Services, Monash University, 1991.
14. S. L. Swartz, , R. E. Shook, and B. M. Hoffman, Reading Recovery in California. 1992-93 site report. San Bernardino: California State University, 1993.

فهرس

١	..... مقدمة
٢	..... القراءة المتدرجة: .....
٣	..... القراءة متعةً وتسليّةً: .....
٤	..... بيئة القراءة: .....
٥	..... فوائد الاطلاع: .....
٧	..... منهجان لتعليم القراءة: .....
٨	..... لماذا يظل الكتاب أداة التثقيف الأولى؟ .....
١٠	..... القراءة الجيدة والقراءة السيئة: .....
١١	..... القراءة النقدية: .....
١٢	..... القراءة الشفافة: .....
١٣	..... القراءة الكلية والمنهجية: .....
١٤	..... القراءة العملية: .....
١٥	..... القراءة السريعة: .....
١٦	..... خاتمة: .....
١٧	..... مراجع مختارة: .....
١٩	..... فهرس .....